ليتورجيّا الغفران في يوم كِيبُّور
(لا ١٦: ١-٣٤)

الخوري نعمة الله الخوري
أستاذ مادّة الكتاب المقدّس في الجامعة الأنطونية

يعرض الفصل السادس عشر من كتاب اللاويّين الطقوس التكفيريّة التي كان يحتفل بها اليهود في يوم كِيبُّور، أو يوم الغفران؛ فرضت هذه الطقوس على المحتفل أن يُقدِّم عدّة حيوانات متفاوتة في الثمن كالعجل والتيس والكبش، وأُلصِقت بكلّ واحد من هذه الحيوانات وظيفةٌ ذبائحيّة خاصّة به لتخليص الكهنة والإسرائيليّين من خطاياهم وتجاوزاتهم. يذكر هذا الخبر التفاصيل الدقيقة التي تحدّد أنواع الثياب المستعمَلة في هذا العيد وكيفيّة وضعِ البخور ونضحِ الدم على الكفّارة، فيغلب الطابع الليتورجيّ الذي يخدم الأهداف المرجوّة من هذا الاحتفال.

بعد الإشارة العابرة إلى الدلالات اللغويّة لكلمة «كِيبُّور»، سنتطرّق في دراستنا إلى مسألة إدراج هذا العيد في الكلندار اليهوديّ، وإلى تأثير الديانات المجاورة لإسرائيل على تدوين هذا الخبر، ثمّ نعرض التنظيمات الذبائحيّة التي تهدف إلى نيل الغفران، لنصل في النهاية إلى تأثير هذه الممارسات الطقسيّة على تدوين بعض نصوص العهد الجديد.

أولاً: الدلالات اللغويّة لكلمة «كِيبُّور»

تشتقّ الكلمة العبريّة «كِيبُّور[١]» من الفعل «كَفَرْ» الذي يُشير إلى فكرة إلقاء

(١) نجد إشارات عديدة إلى الاحتفال بيوم كِيبُّور (في الترجمة السبعينيّة: إيميرا إكسيلاسمو) في بعض النصوص البيبليّة: خر ٣٠: ١٠؛ لا ٢٣: ٢٧- ٣١؛ ٢٥: ٩ ؛ عد ٢٩: ٧- ١١.

غطاء على شيء مُعيَّن بهدف تغطيته أو تخبئته، ولكنّ هذا الفعل يتضمّن أحيانًا معنى التكفير عن الخطايا. يقول الكتاب المقدّس إنّ اليهود كانوا يحتفلون بطقوس التكفير في «يوم هاكيبُّورِيم»، أي «يوم التكفيرات»، حيث ترد الإشارة إلى التكفير في صيغة الجمع، في حين أنّنا لا نجد أيّة إشارة إلى صيغة المفرد، «يوم كِيبُّور»، وهذا يعني أنّ تسمية يوم كيبور هي مُستَحدثة؛ فضّل بعض الشرّاح قراءة الجمع، يوم هاكيبُّورِيم (بصيغة الجمع المُشدّد، pluriel d'intensité)، فأطلقوا على هذا العيد تسمية «يوم الغفران العظيم».

في العهد القديم، يُستعمَل عادةً الفعل «كَفَرْ»[٢] على وزن فَعّلَ[٣] (كَفَّرَ) وعلى وزن فُعِّلَ[٤] (كُفِّرَ)؛ كذلك نجد هذا الفعل في مشتقّاته التالية: «كُوفِير» التي تعني: فديةَ[٥]، «كِيبُّورِيم» التي تعني التكفيراتَ[٦]؛ أمّا كلمة «كيبُّوريت» فهي تُشير إلى الكفّارةَ[٧] الموضوعة في قدس الأقداس. هدف التكفير هو الحصول على التطهير من الخطيئة ومحوها وتهدئة غضبَ[٨] الله الذي يرفض وجود الخطايا عند شعبه. نلاحظ أنّ التقليد الكهنوتيّ يُشير إلى التكفير عن الخطايا، في حين أنّ تقليد تثنية الاشتراع يُفضّل الحديث عن المغفرة أو المصالحة.

(٢) السبعينيّة ترجمت هذا الفعل بلفظة هيلاسكيساي (hilaskesthai).

(٣) يُكفِّر هارون على قرون التيس (خر ٣٠: ١٠).

(٤) يأكلون ما كُفِّرَ لتكريس أيديهم (خر ٢٩: ٣٣).

(٥) قد وجدتُ فديةً (أي ٣٣: ٢٤).

(٦) هو يوم التكفير العظيم (لا ٢٣: ٢٧).

(٧) نجد في خر ٢٥: ١٧–١٨ وصفًا دقيقًا للكفّارة مع الكروبَين القائمَين على الطرفَين؛ بعد الجلاء، يبدو أنّ الكفّارة، مع الكروبَين المتعلّقَين بها، قد أضحت بديلاً لتابوت العهد الذي كان في هيكل سليمان.

(٨) الحديث عن الغضب الذي يظهر على وجه الله يندرج في أسلوب أنتروبّومورفي يُطبّق صفات الإنسان على الله؛ يلتهب أنف الله (خر ٤: ١٤) حين يعرف أنّ شعبه وقع في الخطيئة، لأنّه إله غيور، لذلك يجب تهدئة غضبه لكي يظلّ مصدر نِعَمٍ للإنسان (٢ صم ٢١: ١٤).

في اللغة العربيّة، يعني الفعل «كَفَرَ»: «غطّى»، «خبّأ»، «ستَرَ»، أمّا عبارة «كَفَّرَ الله الذنب» فهي تعني: «محاه»؛ من ناحية أخرى، يُسَمَّى الزارع: «الكافِر» لأنّه يُغطّي الأرض بالزرع. على المستوى الروحي، يرفض ناكر الجميل نعمة الله، فيُخبِّئها ويسترها ويرفض الاعتراف بها، لهذا يُسَمِّى «كافِر». نلاحظ إذاً انتقالاً من المعنى الحرفيّ لِلفعل «كفَر» إلى المعنى المجازيّ الذي يتضمّن موقفَين متناقضَين: الكافر، من جهة، يُغطّي الحقيقة ويرفض الاعتراف بها، في حين أنّ الخاطئ التائب، من جهة أخرى، يحاول أن يُصلح خطيئته فيُغطّيها ويضع عليها حجابًا، وبالتالي لن يرى الله هذه المعصية المستورة. نشير هنا إلى كلمة «الغفرانات» التي يستعملها الحقّ القانونيّ الكنسيّ للدلالة على التكفير عن بعض الخطايا بواسطة الصوم والصدقة والصلاة وغيرها. في اللغة السريانيّة أيضًا، يعني الفعل «كْفَرْ»(٩): «جحد»، «أنكر»، «مسح»، «غسل»، «نظّف»، «محا».

باختصار، تصل اللغتان العربيّة والسريانيّة إلى فكرة التكفير بطريقتين مختلفتين: الأولى تعتبر أنّ إصلاح الخطأ يقضي بوضع حجاب(١٠) يستره، في حين أنّ الأخرى تعتمد على عمل اليد لمسح(١١) الخطايا ومحوها؛ وفي هذا الإطار قال المزمور(١٢): «إرحمني يا الله بحسب رحمتك، وبكثرة رأفتك امحُ مآثمي». نلاحظ إذاً أنّ معنى الفعل العبريّ «كِبِّرْ» يتطابق مع ما يُقابله في اللغات الساميّة، فيشير إمّا إلى تغطية الآثام وإمّا إلى محوها.

ثانيًا: إدراج يوم كِيبُّور في الكلندار اليهوديّ

لا تُخبرنا كلندارات الأعياد اليهوديّة المكتوبة قبل السبي(١٣) شيئًا عن يوم

(٩) نشير إلى أنّ البابليّين استعملوا في لغتهم الأكاديّة الفعل «كيبير» للدلالة على محو الآثام وإبعادها.
(١٠) في السيامة الكهنوتيّة يأمر المحتفل شمّاسَين بحمل حجاب ليستر خطيئة الكاهن التي يمحوها المسح بالزيت المقدّس.
(١١) المسيح الداوديّ هو ممسوح بالزيت (١ صم ١٠: ١).
(١٢) رج مز ٥١ (٥٠): ٣ .
(١٣) رج خر ٢٣؛ ٣٤؛ تث ١٦.

كيبور؛ أمّا حزقيّال(١٤)، فإنّه يصف احتفالاً شبيهًا بما وردَ بشأن يوم كِيبّور في لا ١٦، ولكنّ الاحتفال عند حزقيّال يجري في الربيع، في حين أنّ الاحتفال بيوم كِيبُّور كان يجري في تشرين(١٥)؛ كذلك نحميا(١٦) لا يُشير إلى هذا العيد بالرغم من أنّه يصف في هذا الفصل احتفالات عيد المظالّ الذي يبدأ في اليوم الأوّل من شهر تشرين وينتهي في اليوم السابع منه. تدفعنا هذه المعطيات إلى الاعتقاد أنّ الاحتفال بيوم كِيبّور الوارد في لا ١٦ أُدرِج في حقبة متأخّرة في كلندار الأعياد اليهوديّة حتّى وإن تضمّن بعض العناصر القديمة.

يدخل هارون في يوم كيبور إلى قدس الأقداس حاملاً دم الذبائح التي يُقدّمها تكفيرًا عن خطاياه الشخصيّة، ويرشّه على الكفّارة الموضوعة في قدس الأقداس، في حين أنّ غمامَ البخور(١٧) يُغطّي حضورَ الله؛ بعد ذلك يرشّ دم الذبيحة التي قدّمها الإسرائيليّون تكفيرًا عن خطاياهم، ثمّ يضع يديه على رأس تيسٍ، ويتلو صلاة طلب الغفران، ويُرسل هذا التيس حيًّا إلى عزازيل في البرّية مع أحد الأشخاص المكلَّفين بهذه المهمّة.

هذه الطقوس اليهوديّة تُشبه عيد «كيبورو» الذي يحتفل به البابليّون(١٨) في

(١٤) رج حز ٤٥: ١٨–٢٠.

(١٥) في الكلندار اليهوديّ، يبدأ يوم كِيبّور بعد غياب الشمس، عند حلول الظلام، في مساء اليوم العاشر من شهر تشرين، ويستمرّ حتّى مساء اليوم التالي.

(١٦) رج نح ٨: ١–١٨؛ نجد أيضًا الصمت عن هذا العيد في كلندار ٢ أخ ٧: ٨–١٠.

(١٧) يلقي الكاهن الأكبر البخور على جمر النار، فيتصاعد غمام البخور الكثيف، ويغطّي الكفّارة، فلا يموت؛ يُساعد غمام البخور الكثيف المتصاعد من المجمرة على تخبئة وإخفاء الكفّارة والشهادة اللتين ترمزان إلى حضور الله، ونحن نعلم أنّ الله حاضر وخفيّ في الغمام (خر ١٩: ٩). هنا نستطيع أن نفهم لماذا يُمنَع على الكهنة (آ ١٧) الآخرين الوقوف في القدس أثناء الاحتفال بيوم كِيبُّور: وحده الكاهن الأكبر محميّ من نتائج حضور الله (آ ١٣).

(١٨) كان الطقس البابلي يجري في اليوم الخامس من شهر نيسان (نيسانو)، في إطار الاحتفال بعيد رأس السنة البابليّة؛ غير أنّ الطقس الوارد في لا ١٦ يتحدّد في اليوم العاشر من الشهر السابع من السنة التي تبدأ في الربيع؛ للوهلة الأولى نظنّ أنّه يوجَد تباين بين الطقسَين، لكنّ السنة الإسرائيليّة كانت قديماً تبدأ في الخريف وهذا يعني أنّ الاحتفال كان يجري، في إسرائيل أيضًا، في بداية السنة. حين تغيّر كلندار السنة اليهوديّة لاحقًا، فأضحت هذه السنة تبدأ في الربيع، كما هي الحال في بابل، فضّل الإسرائيليّون الإبقاء على توقيت هذا العيد في تشرين.

رأس السنة، في اليوم الأوّل من شهر نيسان[١٩]؛ أثناء هذا الاحتفال الوثنيّ، يدخل الكاهن الأكبر (أوريغالو) إلى المعبد ليُحرق العطور؛ يقطع سيّاف رأس كبش، ويأخذ الكاهن الذبيحة ويضعها على المذبح تاليًا بعض التعزيمات التي تهدف إلى تطهير المعبد وما حوله، ثمّ يرمي جسد الحيوان المذبوح في النهر ويصنع السيّاف بالمِثل مع رأس الذبيحة؛ يغادران كلاهما المعبد إلى مكان مُحَدَّد وينتظران نهاية العيد بسبب النجاسة التي لحقت بهما من جرّاء لمس الذبيحة التي تنجّست حين حملت خطايا الجماعة. نلاحظ إذًا تقاربًا واضحًا بين الاحتفالات البابليّة واليهوديّة نظرًا لوجود الطقوس التكفيريّة والتطهيريّة.

ثالثًا: طقوس يوم التكفير

أخذ عيد التكفير السنويّ أهمّيّة استثنائيّة بين سائر الأعياد اليهوديّة، فالكاهن الأكبر وحده يستطيع الاحتفال به، وهو يستطيع دخول قدس الأقداس في هذا النهار فقط من السنة، ويكون حينئذٍ وسيطًا بين الله وشعبه.

يفرض لا ١٦: ٢٩-٣٤ على المؤمنين أن يصوموا في يوم كِيبُّور استعدادًا لنيل الغفران؛ ويبدو أنّ هذا الصوم هو الصوم[٢٠] الوحيد الذي تفرضه الشريعة على الشعب. الكلمة العبريّة «تعنو» التي تشير إلى الصوم، تعني حرفيًا: «تُعَنُّون» نفوسكم وتُخضعونها، ليس فقط من خلال الانقطاع[٢١] عن الطعام والشراب،

(١٩) في مدن أخرى ، مِثل أور، كان يُحتَفَل بهذا العيد مرّة ثانية في أيلول، لأنّ هذا الشهر هو بداية السنة الزراعيّة.

(٢٠) نجد إشارات نادرة إلى الصوم في العهد القديم: مزّق داود ثيابه وبكى وصام حتّى المساء حين مات شاول ويوناتان (٢ صم ١ : ١٢)، وصامت يهوديت كلّ أيّام ترمّلها (يه ٨ : ٥-٦)، كما أنّ دانيّال صام قبل أن يقترب من الله (دا ١٠ : ١-٣)؛ يقول كاتب المزمور ٣٥: ١٣: «كنت بالصوم أُذلّل نفسي» (رج مز ٦٩: ١١)؛ ويعرض أش ٥٨: ٦-٧ المعنى الحقيقيّ للصوم.

(٢١) شرح فيلون معنى عيد يوم كِيبُّور معتبرًا إيّاه زمن توبة وتطهير، ويؤكّد أنّ الفرح لا يكمن في وفرة المأكل والمشرب والرقص والموسيقى التي تحرّك الرغبات البشريّة الدنيا. يوم كِيبُّور هو يوم تقشّف وتقوى يهدف إلى تطهير قلب الشعب الذي يجب أن يبتهل الى الله لينال الغفران عن خطاياه السابقة؛ *Dictionnaire Encyclopédique du Judaïsme*, Cerf, Paris, 1993, p. 1215.

بل أيضًا عن ممارسة الزواج والتعطّر بالعطور.

يتضمّن الاحتفال بيوم كِيبُّور طقسين متميِّزيَن ولكنّهما مدموجان في احتفال واحد: الطقس الذبائحيّ الذي يُقَدَّم فيه دمُ عجل وكبش وتيس تكفيرًا عن خطايا الكاهن والشعب(٢٢)، والطقس غير الذبائحيّ الذي يتضمّن إرسالَ تيس حيٍّ إلى عزازيل، حاملاً خطايا الجماعة.

١ – طقس الذبائح التطهيريّة

يقف الكاهن الأكبر أمام عرش الله ليطلب الشفاعة لأجل كلّ شعب إسرائيل، كهنة ومؤمنين، وصلاته تكون مقبولة. أثناء الاحتفال، لا يستطيع الكاهن الأكبر أن يلبس كلّ ثيابه(٢٣)، بل يكتفي بلبس ثوب من كتّان (آ ٣٢) لا تظهر عليه أيّة زينة لأنّ الثياب البسيطة، غير المُزَيَّنة، تليق بالكاهن الأكبر حين سيقف بتواضع أمام الله باسم الشعب.

قبل أن يبدأ بطقوس عيد التكفير، يجب أن يكون طاهرًا ونقيًّا، لذلك يُفرَض عليه أن يُقَدِّم عجلاً(٢٤) من البقر وكبشًا من الغنم (آ ٣) ليُكَفِّر عن خطاياه وخطايا الكهنة، أهل بيته (آ ١١)؛ يَهدف استعمال الدم إلى تصويب العلاقة بين الكاهن، الذي يُقَدِّم الذبيحة، وبين الله الحاضر في قدس الأقداس. يشير الفعلان «طهّر»

(٢٢) طَبِّقَت هذه الممارسة الذبائحيّة في احتفالات رؤوس الشهور (عد ٢٨: ١١–١٥؛ وفي العنصرة (٢٨: ٢٦، ٣١)، ورأس السنة (عد ٢٩: ٥) عيد الفطير (٢٨: ١٦–٢٥) والمظالّ (٢٩: ١٢–١٦).

(٢٣) كانت ثياب الكتّان تُستَعمَل بالتأكيد أثناء الاحتفالات الليتورجيّة التي سبقت تدوين خر ٢٨ الذي فرض نوعًا جديدًا من الثياب الاحتفاليّة المُزَيَّنة والمُخَصَّصة لإظهار العظمة الإلهيّة أمام الشعب؛ يكشف استعمال ثياب الكتّان في رتبة الغفران عن الأصل القديم لهذا الطقس أو عن جزء منه على الأقلّ.

(٢٤) نجد هنا صدىً لذبيحة العجل التي فرضها الله ليُكَفِّر بها الكاهن الخاطئ عن ذنوبه (لا ٤: ١–١٢)، مع فارق طفيف وهو أنّه في لا ٤: ١–١٢ ينضح الكاهن الأكبر دم الذبيحة على الحجاب الفاصل بين القدس وقدس الأقداس (آ ٦)، في حين أنّه في احتفال يوم كِيبُّور، يدخل الكاهن الأكبر إلى داخل قدس الأقداس، مرّة في السنة، لينضح الدم مباشرة على الكفّارة وأمامها.

و«قدّس» (آ ١٩) إلى الغاية الأساسيّة المرجوّة من نضح الدم على المذبح: من ناحية، يعبّر الفعل «طهّر» عن فكرة سلبيّة، وهي تخليص المذبح من النجاسة التي لحقت به بسبب وجود إسرائيليّين خطأة في الأمكنة المجاورة؛ تصيب النجاسة الإنسان بسبب خطيئته ولكنّها تصل إلى المقدس(٢٥)، حتى ولو على مسافة، وكأنّ قداسة هذا الأخير تجذب إليها النجاسة مثل المغناطيس؛ من هنا تظهر الحاجة الملحّة لتطهير المذبح والهيكل(٢٦) بانتظام بواسطة إقامة الطقوس التطهيريّة، وكأنّ المذبح يحمل قوّة الشرّ، ولكنّه يتحرّر منها بعد التطهير(٢٧)؛ من ناحية أخرى، يتضمّن الفعل «قدّس» معنىً إيجابيًّا: إعطاء المذبح قوّة تجعله أهلاً لتقديم الذبائح للإله القدّوس.

بعد أن ينتهي الكاهن الأكبر من نضح دم العجل على الكفّارة(٢٨) تكفيرًا عن خطاياه، يتوجّه إلى تيسَين من المعز وكبش من الغنم (آ ٥) اللذين قدّمتهما الجماعة

---

(٢٥) René PÉTER-CONTESSE, *Lévitique 1-16.* Commentaire de l'Ancien Testament IIIa, Labor et Fides, Genève, 1993, p. 247.

(٢٦) إنّ تطهير المذبح الذي لوّثته الخطايا، يظهر وكأنّه إعادة تجديد الهيكل وتقديسه.

(٢٧) أثناء الاحتفال بيوم كِيبُّور، لا نجد الصلاة التي يتلوها الكاهن الأكبر على العجل، بل هي تظهر في كتابات ما بعد الجلاء؛ تقول التُوسِفْتا (يُومَا ٣، ٨): «كان الكاهن الأكبر يقترب من العجل القائم بين أعمدة الواجهة وبين المذبح؛ يقف الكاهن في الناحية الشرقيّة للهيكل، ويوجّه نظره إلى الغرب، ويضع يديه على العجل، ويعترف بخطاياه قائلاً: إقترفت يا ربّي الخطايا طوعًا، وكنت عاصيًا، وأخطأت نحوك أنا وعائلتي؛ إغفر يا ربّي خطاياي الطوعيّة والتمرّدات والذنوب التي أضحيت بسببها خاطئًا، عاصيًا ومذنبًا نحوك، أنا وعائلتي. كما هو مكتوب في شريعة موسى (لا ١٦: ٣٠): لأنّه سيُكفَّر عنكم في هذا اليوم. تُجيب الجماعة: ليكن اسمُ مُلكِ مجدِهِ مباركًا من أجيالٍ إلى أجيال» Frédéric MANNS, *La prière d'Israël à l'heure de Jésus,* Studium Biblicum Franciscanum, Analecta 22, Jérusalem, 1986, p. 226.

(٢٨) في العهد القديم، تدلّ الكفّارةُ على صفيحة ذهبٌ مستطيلة موضوعة على التابوت، ونجد عليها كروبَين من ذهب تسكن العَظَمة الإلهيّة في أجنحتهما (خر ٢٦: ٣٤؛ ٢٥: ١٧-٢٢؛ ٣٠: ٦؛ ٣١: ٧؛ ٣٥: ١٢؛ ٣٧: ٦-٩؛ ٣٩: ٣٥؛ ٤٠: ٢٠). من المحتمل أن تعني الكفّارة دعامة تسند الكروبين. من ناحية أخرى، تدلّ الكلمة العبريّة عِدُوتْ (الشهادة) على الوصايا العشر التي كتبها الربّ بصورة احتفاليّة على لوحَين قدّمهما لموسى (خر ٣١: ١٨؛ رج ٣٢: ١٥؛ ٣٤: ٢٩)؛ حين نقرأ عبارة «تابوت الشهادة» (خر ٢٥: ٢٢؛ ٣٠: ٢١) نفهم أنّه الصندوق الحاوي لوحَي الوصايا العشر .

لتكفِّر عن خطاياها، لأنّها معنيّة بطقس الغفران[٢٩]؛ يُحدِّد الكاهن الأكبر، بالقرعة، تيسًا ليُذبَح تكفيرًا عن خطايا الشعب، أمّا التيس الآخَر فسيُرسَل حيًّا إلى البرّيّة.

إنّ قراءة الترتيبات الطقسيّة الذبائحيّة الواردة في آ ١١-١٧ تجعلنا نفهم أنّ الكاهن الأكبر كان يدخل مرَّتَين إلى قدس الأقداس، مرّة لنضح الدم تكفيرًا عن خطاياه (آ ١١-١٤)، ومرّة أخرى لنضح الدم تكفيرًا عن خطايا الشعب (آ ١٥-١٧)؛ غير أنّ آ ١٨ تجعلنا نميل إلى الاعتقاد أنّ الكاهن الأكبر كان يدمج دم الذبيحتين وينضح بهما مرّة واحدة الكفّارة.

كنّا نتوقّع أن ينضح الكاهن الأكبر الدم على الشعب الخاطئ، ولكنّه يدخل بالأحرى إلى القدس نفسه الذي تدنّس طوال السنة المنصرمة بسبب معاصي بني إسرائيل[٣٠]. إنّ نضح الدم هو حركة طقسيّة تهدف إلى الحلّ من الخطايا، وبالتالي تحصل الأمّة الإسرائيليّة بأسرها على الغفران الإلهيّ بعد محو ذنوبها؛ من جديد، أضحى الشعب الإسرائيليّ مُقدَّسًا ينعم بالبركات الإلهيّة، ويستحقّ المواعيد التي وعده الله بمنحه إيّاها.

نلاحظ أنّ هذا اللقاء بين الله ومَمَثِّله في قدس الأقداس كان الشيء الأكثر قداسة، وهو يُثير عند الكاهن الرعب والخوف من الموت؛ إنّ سبب الموت هو الوقوف في حضرة الله بطريقة غير منتظمة، غير أنّ احترام تعليمات موسى حول قداسة الكاهن الشخصيّة وقداسة شعبه تُزيل هذا الخوف. لن تتكرّر مأساة ابنَي

(٢٩) لا تُشير كتب الشريعة الخمسة إلى أيّة ممارسات للحداد أثناء يوم كِيبُّور، غير أنّ **كتاب اليوبيلات** وحده يؤكِّد أنّ الخطأة الذين يتوبون فعلاً ينالون المغفرة عن خطاياهم (**يوبيلات** ٥: ١٧-١٨) وقد بدأ الاحتفال بهذا العيد حين عرف يعقوب بوفاة ابنه يوسف فأقام الحداد عليه؛ رج:
Dictionnaire Encyclopédique du Judaïsme, Cerf, Paris, 1993, p. 1215.

(٣٠) نقرأ في **تُوسفْتا** (يُومَا ٦، ٢): «كان الكاهن الأكبر يقترب من التيس المبعوث ويضع يديه عليه ويعترف قائلاً : يا ربّي لقد اقترف بيت إسرائيل الخطايا طوعًا وكان عاصيًا، وأخطأ نحوك؛ إغفر يا ربّي الخطايا الطوعيّة والتمرّدات والذنوب التي أضحى بسببها شعبك، بيت إسرائيل، خاطئًا، عاصيًا ومذنبًا نحوك؛ كما هو مكتوب في شريعة موسى خادمك: لأنّه سيُكَفَّر عنكم

هارون اللّذَين قدّمَا أمام الأزليّ نارًا غريبة[٣١]، فماتَا بعد أن تقدّمَا أمام الربّ؛ إذا دخل الكاهن الأكبر إلى قدس الأقداس مرّة واحدة في السنة، ونفّذ التعليمات الليتورجيّة بدقّة، فإنّ وقوفه في حضرة الله لن تكون له نتائج سلبيّة.

٢ – الطقس غير الذبائحيّ: إرسال التيس الحيّ إلى عزازيل

الطقس السابق يُطهِّر القدس من النجاسات، في حين أنّ هذا الطقس يهدف إلى تخليص الإسرائيليّين أنفسهم من خطاياهم. لا نجد عند المفسّرين توافقًا على تفسير كلمة «عزازيل» لأنّهم لم يستطيعوا معرفة كيفيّة اشتقاقها؛ لم تُوضح الترجمات اليونانيّة للعهد القديم معنى كلمة «عزازيل»[٣٢]، فاكتفت بالقول: ذهب العنز بعيدًا، فحمي الشعب من الضربة؛ أمّا الترجمة اللاتينيّة[٣٣] فأشارت إلى التيس المبعوث[٣٤]؛ غير أنّ الترجمة السريانيّة هي وحدها التي فهمت معنى كلمة «عزازيل»: إنّه اسم شيطان كان العبرانيّون بشكل خاصّ والكنعانيّون

في هذا اليوم، وتطهرون من جميع خطاياكم تجاه الله. حين يسمع الكهنة والشعب الواقفون هناك الكاهنَ الأكبر يلفظ اسم «الله» الذي لا يمكن النطق به، كانوا يركعون ويخضعون ويلصقون وجههم بالأرض ويصرخون: ليكن اسمُ مُلكِ مجدِهِ مباركًا من أجيالٍ إلى أجيال»
(Frédéric MANNS, *La prière d'Israël à l'heure de Jésus*, Studium Biblicum Franciscanum (Analecta 22, Jérusalem, 1986, p. 227).

(٣١) لا ١٠: ١–٢؛ رج ١٦: ١.

(٣٢) بولس الفغالي، **من العبوديّة إلى العبادة (سفر الخروج وسفر اللاويّين)**، المكتبة البولسيّة، ١٩٩٠، ص ٣٣٦.

(٣٣) الترجمة اللاتينيّة سمّت هذا التيس capro emissario، وتبعتها الترجمة الفرنسيّة التي سمّته : bouc émissaire.

(٣٤) نجد في عبارة «التيس المبعوث» أو «التيس المُرسَل» صدىً لعبارة «كبش المحرقة» التي دخلت في اللغات المتداوَلة للدلالة على ضحيّة تكون عادةً بريئةً، ولكنّ الجماعة تضع عليها مسؤوليّة ما يصيبها من أمراض خطيرة؛ في هذ الإطار، اعتبر لافونتين (La Fontaine) في رواية «الحيوانات المرضى بالطاعون» أنّ الحمار هو المسؤول عن إصابة الحيوانات بهذا المرض الخبيث.

بشكل عامّ، يعتبرونه ساكنًا في الصحراء، وهي الأرض القاحلة التي لا يصل إليها عمل الله المخصب(٣٥).

يشير (لا ١٧: ٧) إلى طقس تقدمة الذبائح للتيوس الأوثان؛ فمن المحتمل أن يكون تيس العنز المقصود قريبًا من وجه عزازيل الذي كانت تتصوّره بعض الشعوب بشكل عنز(٣٦) وتقدّم له الذبائح. نستطيع إذًا أن نعتبر أنّ عزازيل هو اسم علم لشيطان هائم في الأماكن القاحلة والصحراويّة؛ إنّ التوازي بين العبارتين «تيس للربّ» وَ«تيس لعزازيل» (آ ٨) يُشكِّل برهانًا مهمًّا في تفضيل اسم العلم للشيطان الذي يقابله الكاتب مع اسم الله.

لم يُذبَح هذا التيس الثاني، بل قُدِّم للكاهن الأكبر حيًّا (آ ١٠): نلاحظ أنّ النصّ يريد أن يستبعد فكرة تقديم الذبائح إلى الشيطان نظرًا لطابعها الوثنيّ، لذلك أُرسِل التيس حيًّا إلى البرّيّة. احتفظ الإسرائيليّون ببعض تقاليد جيرانهم، ولكنّهم أضفوا عليها طابعًا خاصًّا بهم؛ يضع هارون يديه(٣٧) على رأس التيس، ويعترف بجميع آثام بني إسرائيل ومعاصيهم وخطاياهم (آ ٢١)؛ هذه الكلمات الثلاث هي مترادفة ولكنّها تعبّر عن «مجمل الخطايا»: مهما كان نوع الخطايا(٣٨) التي اقترفها بنو إسرائيل، فقد وُضِعَت رمزيًّا على رأس الحيوان.

يحمل هذا التيس مجموع خطايا بني إسرائيل وتجاوزاتهم بهدف تخليصهم منها ليستطيعوا الانطلاق من جديد في حياتهم مع الله. يُعبِّر وضع اليدين عن

(٣٥) أش ١٣: ٢١.

(٣٦) نلاحظ التقارب بين عنز وعزازيل.

(٣٧) يُوضح الكاتب أنّ الكاهن الأكبر يضع يديه كلتيهما على رأس التيس الثاني (آ ٢١) وذلك لمنع الالتباس مع طقس وضع اليد الوارد في (لا ١: ٤) حيث نجد تقدمة الذبائح عن الخطيئة في الأيّام العاديّة من السنة.

(٣٨) يعرض كتاب اللاويّين نوعين، على الأقلّ، من تقديم الذبائح لمغفرة الخطايا: نجد الشكل الأوّل في (لا ٤) حيث تُقَدَّم الذبائح لمغفرة خطايا الإسرائيليّين التي تُرتَكب بالإهمال أو سهوًا (٤: ١)؛ أمّا في الشكل الثاني الوارد في لا ١٦، فالذبيحة تُقدَّم لمغفرة مجمل الخطايا المتعمَّدة والمقصودة التي لا يمكن أن تُغفَر بشكل شخصيّ (كما هو الحال في لا ٤)؛ من هنا تظهر ضرورة الاحتفال بطقس «إرسال التيس حيًّا إلى عزازيل».

فكرة تحويل الخطيئة رمزيًّا من شخص إلى حيوان. بعد أن يُكَفِّر الكاهن الأكبر على التيس، يرسله حيًّا إلى عزازيل(٣٩) مع رجلٍ مُكلَّف بهذه المهمّة؛ الرمزيّة هنا معبِّرة: تُعتَبر الخطايا التي اقترفها بنو إسرائيل حملاً ثقيلاً موضوعًا على أكتافهم؛ يُخلِّصهم الكاهن الأكبر من هذا الحمل ويضعه على تيس ليحمله إلى عالم غير مسكون(٤٠)، أيّ إلى عالم الشياطين والقوى المناهضة للّه. لن يتحمّل بنو إسرائيل بعد الآن مسؤوليّة خطاياهم، ولن يعانوا من نتائجها السلبيّة، لأنّ التيس حملها إلى البرّيّة.

نجد عند البابليّين، كما أشرنا أعلاه، طقوسًا مشابهة لطقس الاحتفال بإرسال التيس إلى عزازيل؛ نلاحظ في هذه الطقوس الوثنيّة وجود عنصرَين أساسيَّين: نقل الخطايا والنجاسات بطريقة رمزيّة إلى حيوان، ثمّ فصل الحيوان واستبعاده. بعد أن لمس هارون تيس عزازيل، لا يُضحي مُؤهَّلاً لتقدمة الذبائح أمام الله، لأنّه تنجّس من الخطايا التي سيحملها التيس، لذلك عليه أن يغتسل (آ ٢٤) ويُبدّل ثيابه(٤١)؛ كذلك الأمر سيبقى الرجل المُكلَّف بإيصال التيس إلى عزازيل نجسًا حتّى المساء.

مهما يكن من أمر تأثير الديانات الغريبة على هذا العيد، فقد اتّخذ يوم كِيبُّور أهمّيّة ملحوظة في الكلندار الإسرائيليّ، وأضحى العيد الأساسيّ(٤٢)، وسيُسمّيه

(٣٩) إرسال الخطيئة إلى البعيد، يعني أنّها اختفت وتلاشت (زك ٥: ٥–١١).

(٤٠) هذا الطقس هو قريب من تطهير الأبرص (لا ١٤: ٣–٢٠) حيث يُذبَح عصفور في إناء من خزف ويُطلَق الآخر حيًّا إلى البرّيّة.

(٤١) تقدّست هذه الألبسة بفِعل دخول هارون إلى قدس الأقداس: يجب أن يخلعها ليعود إلى وسط الجماعة لكي لا يلمسها الإسرائيليّون بطريقة لاشعوريّة، فيضحون على مسافة قريبة من الله؛ هذه الثياب هي مقدّسة، أي مُخصَّصة بشكل حصريّ للكاهن الأكبر الذي يلبسها أثناء خدمة الاحتفال بيوم كِيبُّور ليواجه الربّ، لهذا السبب، يجب أن يغتسل الكاهن الأكبر بالماء قبل أن يلبسها (آ ٢٤).

(٤٢) حاليًّا، لا يوجد هيكل ولا ذبائح تكفيريّة، لذلك يعتبر إسرائيل أنّ التوبة والصوم يكفيان لمحو خطايا الشعب.

اليهود لاحقًا: «العيد»، أو: اليوم الكبير (يُومَا رَبَّا) نظرًا لتفوّقه على سائر الأعياد اليهوديّة(٤٣)، للدلالة على أنّه يوم لا يجد ما يماثله في سائر الأيّام والأعياد.

رابعًا: يوم كِيبُّور في العهد الجديد

إستعاد كاتب الرسالة إلى العبرانيّين الخطوط الكبرى التي يتميَّز بها يوم كِيبُّور، فأعاد قراءتها على ضوء الحدث الفصحيّ؛ إنّ صورة التيس المُرسَل إلى عزازيل(٤٤) ليست غائبة تمامًا عن هذه الرسالة حيث نجد إشارات إلى المسيح الذي يحمل الخطايا(٤٥)، وقد اقتيد خارج المدينة ليُصلَب(٤٦). في أغلب الأحيان، يُسمّي كاتب الرسالة إلى العبرانيّين يسوع «الكاهن الأكبر(٤٧)» لِيُذكِّرنا بوجه هارون الكهنوتيّ كما ورد في كتاب اللاويّين؛ كذلك الأمر، حين يتوسّع كاتب هذه الرسالة بشأن وظيفة المسيح الذبائحيّة، يُلمِّح بشكل خاصّ إلى دور هارون في لا ١٦ مع ظهور عدّة فوارق جذريّة بين الاثنين:

أ – يُقدِّم هارون الذبيحة سنويًّا عن خطاياه وخطايا الشعب، في حين أنّ ذبيحة المسيح على الصليب هي فريدة وليست بحاجة إلى تكرار، ولا ضرورة لأن يُكفِّر المسيح عن خطاياه الشخصيّة.

ب – يُقدِّم هارون دم العجل والتيس للتكفير عن الزلاّت، في حين أنّ المسيح يقدِّم حياته ليخلِّصنا من خطايانا: «دخل قدس الأقداس مرّة واحدة، لا بدم التيوس والعجول، بل بدمه، فكسب لنا الخلاص الأبديّ»(٤٨).

(٤٣) في يوم كِيبُّور (٦ تشرين الأوّل عام ١٩٧٣)، هاجمت الجيوش المصريّة والسوريّة بشكل مباغت المواقع الإسرائيليّة غير المحصّنة بشكلٍ وافٍ في سيناء والجولان بسبب عطلة هذا العيد.

(٤٤) رسالة برنابا (٧: ١٤) هي أوّل من طوّر البعد الرمزيّ للتيس المبعوث إلى عزازيل، فاعتبرت أنّ هذا التيس يرمز إلى المسيح.

(٤٥) رج عب ٩: ٢٨؛ رج ١ بط ٢: ٢٤.

(٤٦) رج عب ١٣: ١٢؛ رج يو ١٩: ١٧–٢٠.

(٤٧) رج عب ٢: ١٧؛ ٣: ١؛ ٤: ١٤–١٥؛ ٥: ٥، ١٠؛ ٦: ٢٠؛ ٧: ٢٦، ٢٨؛ ٨: ١، ٣؛ ٩: ١١.

(٤٨) رج عب ٩: ١٢.

ج – وحده الكاهن الأكبر له الحقّ بالدخول إلى قدس الأقداس مرّة واحدة في السنة، غير أنّ حجاب الهيكل انشقّ(٤٩)، بعد ذبيحة الصليب، ليستطيع جميع المؤمنين أن يدخلوا دائمًا إلى قدس الأقداس: «لنا طريق إلى قدس الأقداس بدم يسوع، طريق جديد حيّ، فتحه لنا في الحجاب، أي في جسده»(٥٠). باختصار، تُحيلنا كريستولوجيا الرسالة إلى العبرانيّين إلى أناشيد العبد المتألّم(٥١)، وإلى إعلان العهد الجديد على لسان إرميا(٥٢).

من ناحية أخرى، نجد إشارات غامضة وخفيّة إلى يوم كِيبُّور في بعض كتابات العهد الجديد؛ إحتفظ رسول الأمم، بعد مرور سنوات عديدة على صلب المسيح، بذكرى يوم كيبور حين كان مسجونًا في السفينة المبحرة إلى روما(٥٣)؛ في رسالته إلى أهل روما، يعتبر بولس أنّ الله جعل يسوع كفّارة(٥٤) في دمه بالإيمان(٥٥)، فحصر ابنُ الله في شخصه الكفّارةَ التي تُعتَبر مركز الثِقل في الاحتفال بيوم كِيبُّور: أضحى المسيح المكانَ الذي يلتقي فيه الله مع الإنسان وهو في الوقت عينه الوسيلة التي تسمح بالمصالحة بين الله والخطأة(٥٦).

تجد الذبائح في يوم كِيبُّور صدىً لها في تأسيس الإفخارستيّا(٥٧) التي تُعتَبر اشتراكًا في دم المسيح(٥٨) الذي يُؤسِّس العهد الجديد(٥٩)، كما أنّ دم المسيح هو كفّارة عن الخطايا(٦٠).

---

(٤٩) رج لو ٢٣: ٤٥.

(٥٠) رج عب ١٠: ١٩.

(٥١) رج أش ٤٢: ١ي؛ ٤٩: ١ي؛ ٥٠: ٤ي؛ ٥٢: ١٣ي.

(٥٢) رج إر ٣١: ٣١–٣٤.

(٥٣) رج أع ٢٧: ٩.

(٥٤) في اليونانيّة: إيلاستيريون.

(٥٥) رج رو ٣: ٢٥.

(٥٦) *Dictionnaire Encyclopédique de la Bible*, «Expiation (Jour des)», Brepols, 2002, col. 472-475.

(٥٧) رج مت ٢٦: ٢٨وز.

(٥٨) رج ١ كور ١٠: ١٦.

(٥٩) رج ١ كور ١١: ٢٥.

(٦٠) رج ١ يو ٢: ٢؛ ٤: ١٠.

إنّ مصير التيس المُرسَل حيًّا إلى عزازيل(٦١)، يشبه ما حدث للشيطان(٦٢) الذي أُوثِق وأُلقِيَ حيًّا في الهاوية(٦٣)؛ يُلمِّح شفاء الممسوس في جراسة(٦٤) إلى سُكنى الشيطان في البراري(٦٥)، كما أنّ عودة الروح النجس(٦٦) تُؤكّد تجمّع الشياطين في الأماكن القفرة. كذلك لا بُدَّ من الإشارة إلى أنّه يُنفَخ بالبوق، في السنة اليوبيليّة، في اليوم العاشر من الشهر السابع، وهو يوم كِيبُّور(٦٧)، ونحن نجد صدىً لهذه السنة في خطبة الناصرة(٦٨).

خاتمة

تعلّق الليتورجيّا اليهوديّة أهمّيّة ملحوظة على يوم كِيبُّور(٦٩) لأنّ الشعب ينال في هذا العيد تطهيرًا من جميع أنواع النجاسات التي لحقت به. لم تستطع ذبائح العهد القديم الدمويّة أن تُخلِّص بني إسرائيل من خطاياهم إلاّ بشكل عابر ومؤقّت؛ ستنتظر الشعوب ذبيحة العهد الجديد، في الإفخارستيّا، حيث يُذبَح المسيح، حمل الفصح(٧٠)، ليمنح البشريّة الخاطئة تحريرًا نهائيًّا وخلاصًا أزليًّا.

(٦١) لا يمكننا تأكيد الشرح الرمزيّ الذي يعتبر أنّ التيس المذبوح في لا ١٦ يرمز إلى المسيح، في حين أنّ التيس المبعوث حيّاً الى عزازيل يرمز إلى الشيطان؛ هذه الرمزيّة تستند إلى فكرة صلب المسيح، في حين أنّ الشيطان يبقى حيًّا.

(٦٢) أنّ عزازيل القابع في البريّة هو صورة عن الشيطان المسجون في بحيرة النار (رؤ ١٩: ٢٠).

(٦٣) رج رؤ ٢٠: ١–٣.

(٦٤) رج لو ٨: ٢٩.

(٦٥) رج لو ٤: ١.

(٦٦) رج لو ١١: ٢٤–٢٦.

(٦٧) رج لا ٢٥: ٩.

(٦٨) رج لو ٤: ١٩؛ رج أش ٦١: ١–٣.

(٦٩) للمزيد من المعلومات حول يوم كِيبُّور، راجع: DBS, III, 1- 262 ; *Dict. Spir.*, IV, 2026- 2045; P. Van Imschoot, *Théologie de l'A. T.*, II, Tournai, 1956, 141-142, 189-192, 314-338; L.L. Grabbe, "The Scapegoat Tradition: A Study in Early Jewish Interpretation", *JSJ* 18 (1987) 152-67; J. Milgrom, *Leviticus 1-16.* AB, 3, New York, 1991; D. P. Wright, *The Disposal of Impurity: Elimination Rites in the Bible and in Hittite and Mesopotamian Literature*, SDLDS 101, Atlanta, 1987.

(٧٠) رج ١ كور ٥: ٧.

تخلّى اليهو- مسيحيّون عن الهيكل المبنيّ من حجر وعن عباداته وطقوسه التكفيريّة وانضمّوا إلى الكنيسة، جسد المسيح السرّي، وهو هيكل جديد لم تصنعه الأيدي وقد بناه القائم من الموت[٧١]. بدأت عبادة روحيّة جديدة[٧٢]، يقدّم أثناءها المسيحيّون ذواتهم قرابين حيّة، فهُم هيكل الله[٧٣]، وأجسادهم أضحت هياكل الروح القدس[٧٤].

(٧١) رج مر ١٤: ٥٨.
(٧٢) رج رو ١٢: ١.
(٧٣) رج ١ كو ٣: ١٦–١٧.
(٧٤) رج ١ كو ٦: ١٩.